

السيادة الرقمية والأمن الثقافي: رؤية نقدية في تداعيات التغذية الراجعة النشطة

ودور غرف الصدى كآلية حماية قيمة

هدى صالح عمر- كلية الآداب جامعة بنى وليد.

hm938506@gmail.com

ORCID: 0009-0006-7082-0188

<https://doi.org/10.36602/famj.2026.22.19>

تاريخ النشر: 2026/6/30

تاريخ القبول: 2025/6/5

تاريخ الارسال: 2026/4/16

الملخص

المقدمة: في ظل التسارع المتزايد للهيمنة التقنية، تبرز الأنظمة الإعلامية الذكية بوصفها بنى دلالية فاعلة تسهم في إعادة تشكيل الوعي الجمعي. وتهدف هذه الدراسة إلى استقصاء العلاقة بين تقنيات الإعلام الحديث وأثرها في الأمن الثقافي لدى المستخدمين، ولا سيما في السياق العربي الذي يتسم بخصوصيات ثقافية ورقمية مركبة.

مشكلة البحث: تتمحور مشكلة الدراسة حول التساؤل الرئيس الآتي: إلى أي مدى تُعد تقنيات التغذية الراجعة النشطة تهديدًا للأمن الثقافي العربي في ظل غياب السيادة الرقمية الوطنية؟ وهل يمكن إعادة تأطير غرف الصدى بوصفها آلية دفاعية تسهم في حماية الحيز المعرفي والهوية الثقافية للمستخدم داخل بيئات رقمية غير منضبطة؟

المنهج المستخدم: تعتمد الدراسة مقارنة تحليلية نقدية ذات بعد سيميائي، تستهدف تفكيك الأبعاد الدلالية للخوارزميات والكشف عن مرجعياتها القيمية الكامنة. كما توظف المنهج الاستقرائي في تحليل النماذج التقنية والدراسات المعاصرة، إلى جانب الاستعانة بالأسلوب الوصفي الاستشرافي لفهم طبيعة التحولات الرقمية وانعكاساتها على الأمن الثقافي.

النتائج: تشير الدراسة إلى أن الخوارزميات، ولا سيما آليات التغذية الراجعة النشطة، تسهم في إعادة تشكيل الإدراك الجمعي وتقويض التعددية المعرفية من خلال إنتاج بيانات معرفية مغلقة. كما تُظهر النتائج أن غرف الصدى في السياق العربي قد لا تمثل خللاً تقنياً فحسب، بل قد تجسد، في بعض الحالات، آلية دفاعية ثقافية وشكلاً من أشكال المناعة الرقمية التي تسهم في حماية التماسك القيمي في ظل غياب السيادة الرقمية. وتوصي الدراسة بضرورة تبني نموذج الحوكمة التحصينية، بما يحقق التوازن بين الانفتاح المعرفي وحماية الهوية الثقافية، وذلك من خلال تعزيز الشفافية الخوارزمية، وترسيخ التربية الإعلامية الرقمية، وتطوير بنى رقمية محلية.

الكلمات المفتاحية: التغذية الراجعة النشطة، السيادة الرقمية، غرف الصدى، الأمن الثقافي، الإعلام الذكي.

Digital Sovereignty and Cultural Security: A Critical Perspective on the repercussions of Active Feedback and the Role of Echo Chambers as a Value-Protection Mechanism

Huda Saleh Omar, Faculty of Arts, Bani Walid University.

Email: hm938506@gmail.com

ID ORCID :0009-0006-7082-0188

Abstract

Introduction: This study examines the critical intersection between smart media platforms and cultural security, emphasizing the role of these platforms as semantic systems that contribute to reshaping collective awareness, particularly within the Arab digital context.

Research Problem: The study investigates the extent to which active feedback techniques may pose a threat to Arab cultural security in the absence of national digital sovereignty. It also examines whether echo chambers can be reconceptualized as a cultural defense mechanism

that helps preserve cognitive space and cultural identity within unregulated digital environments.

Methodology: The study adopts a critical analytical approach with a semiotic dimension to deconstruct the underlying symbolic structures of algorithms and reveal their embedded value frameworks. This approach is further supported by an inductive analysis of contemporary technological models and a descriptive foresight approach aimed at exploring the evolving dynamics of digital environments and their implications for cultural security.

Results: The findings indicate that algorithms, particularly active feedback mechanisms, play a central role in reshaping collective perception by reinforcing closed cognitive environments. However, within the Arab context, echo chambers may not solely represent a technical dysfunction; in certain cases, they may also function as a form of digital immunity that contributes to preserving cultural coherence under conditions of weak digital sovereignty. The study recommends adopting a protective governance model that balances cognitive openness with cultural protection through algorithmic transparency, digital media literacy, and the development of locally grounded digital infrastructures.

Keywords: Active Feedback, Digital Sovereignty, Echo Chambers, Cultural Security, Smart Media Systems.

المقدمة

يشهد العالم المعاصر تحولاً بنوياً عميقاً في طبيعة الاتصال الإنساني؛ إذ لم تعد المنصات الرقمية مجرد وسائط لنقل المعلومات، بل أصبحت أنظمة إعلامية ذكية تؤدي دوراً مركزياً في إعادة تشكيل الإدراك الجمعي وتوجيه أنماط التفكير والسلوك. وقد أسهم التطور المتسارع في تقنيات الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة في نشوء بيئة إعلامية تتجاوز الوظيفة التقليدية

للإعلام، لتتحول إلى بنية دلالية قادرة على إنتاج المعنى وإعادة تأطير الواقع وفق نماذج خوارزمية دقيقة. (Terren & Borge, 2021)

وفي هذا السياق، لم يعد مفهوم السيادة مقتصرًا على المجال الجغرافي للدولة، بل امتد ليشمل المجال الرقمي بوصفه فضاءً استراتيجيًا تتحقق فيه السيطرة على البيانات والتدفقات المعرفية. ومن ثم، أصبحت القدرة على التحكم في المعلومات والخوارزميات أحد أبرز محددات القوة في النظام الدولي المعاصر، الأمر الذي أعاد تعريف مفهوم الأمن ليشمل ما يُعرف بالسيادة الرقمية (سعداوي، 2022). وبناءً على ذلك، لم تعد التهديدات مقتصرة على الأبعاد المادية، بل اتخذت أبعادًا معرفية وثقافية، إذ تُدار عمليات التأثير في الوعي الجمعي عبر منصات عابرة للحدود تتحكم فيها شركات تكنولوجية كبرى.

وتتجلى خطورة هذه التحولات في ظل صعود ما يُعرف بالرأسمالية المراقبة، التي تقوم على تحويل السلوك الإنساني إلى بيانات قابلة للاستخلاص والتحليل وإعادة التوظيف، بما يفرضي إلى إعادة تشكيل خيارات المستخدمين وتوجيه سلوكهم ضمن منظومة خوارزمية تعمل بصورة غير مرئية (Kilic, 2025; Zuboff, 2019). وفي هذا الإطار، لم تعد المنصات الرقمية تكتفي بعكس الواقع، بل أصبحت تشارك في إنتاجه وإعادة تعريفه، بما يمكن وصفه بإعادة هندسة الوعي.

وفي قلب هذه الديناميكيات، تبرز آليات التغذية الراجعة النشطة بوصفها إحدى أهم الأدوات الخوارزمية التي تعيد تشكيل العلاقة بين المستخدم والمحتوى. وتقوم هذه الآليات على تحليل سلوك المستخدم بصورة مستمرة، ثم إعادة تقديم محتوى يتوافق مع أنماطه السابقة، مما يؤدي إلى إنتاج بيئة معرفية مغلقة تعزز القناعات القائمة وتحد من التعرض للآراء المختلفة. وقد أظهرت الدراسات أن هذه الآلية تسهم بصورة مباشرة في تضيق المجال المعرفي وتعزيز الانحياز الإدراكي، بحيث يصبح المستخدم أسيرًا لنمط معرفي يُعاد إنتاجه باستمرار. (Cinelli et al., 2021)

ولا يقتصر تأثير هذه الخوارزميات على المستوى الفردي، بل يمتد إلى المجال العام، حيث تسهم في إنتاج ما يُعرف بغرف الصدى، وهي بيئات رقمية يتفاعل فيها الأفراد مع محتوى متجانس يعزز التجانس الفكري ويكرّس الاستقطاب (Cinus *et al.*, 2022). وتشير الأدبيات الحديثة إلى أن هذه الظاهرة لم تعد محصورة داخل المنصات فحسب، بل تطورت إلى ما يمكن تسميته بالمنصات الصدى، حيث ينتقل المستخدمون إلى فضاءات رقمية تتبنى توجهًا فكريًا واحدًا، مما يعمّق حالة التجزئة المعرفية. (Di Martino *et al.*, 2025)

وفي السياق العربي، تكتسب هذه التحولات أبعادًا أكثر تعقيدًا، نظرًا لخصوصيات البيئة الرقمية التي تتسم بتعدد لغوي وثقافي، وضعف في الحوكمة الرقمية، وارتفاع مستويات التعرض للمعلومات المضللة. وقد أظهرت الدراسات أن هذه العوامل تجعل المجتمعات العربية أكثر عرضة للتأثيرات الخوارزمية، سواء من حيث انتشار الأخبار الزائفة أو إعادة إنتاج السرديات الرقمية داخل فضاءات مغلقة (Abouzied *et al.*, 2025; Mohdeb *et al.*, 2024). كما يتجلى تأثير الإعلام الرقمي في تشكيل الرأي العام داخل السياقين الليبي والعربي، حيث أصبحت منصات التواصل الاجتماعي مصدرًا رئيسيًا للمعلومات ومجالًا لإعادة إنتاج المعنى الاجتماعي والسياسي (أسبيته والسعيطي، 2025)، وذلك في ظل تزايد المخاوف من تأثير هذه المنصات في القيم الثقافية والهوية (Omar *et al.*, 2025)، وضعف البنية الإعلامية المؤسسية (Altai Consulting, 2013).

ورغم أن معظم الدراسات الغربية تنظر إلى غرف الصدى بوصفها ظاهرة سلبية ترتبط بالاستقطاب وتقويض التعددية، فإن هذا البحث ينطلق من رؤية نقدية مغايرة ترى أن هذه الظاهرة لا يمكن فهمها بمعزل عن سياقها الثقافي. فمن هذا المنظور، قد تؤدي غرف الصدى، في بعض الحالات، وظيفة دفاعية تسهم في حماية التماسك القيمي في ظل تدفقات معرفية غير

منضبطة. ومن هنا، يسعى البحث إلى إعادة تأطير العلاقة بين الخوارزميات، والتغذية الراجعة النشطة، وغرف الصدى، والسيادة الرقمية، ضمن إطار تحليلي يربط بين التكنولوجيا والأمن الثقافي في السياق العربي.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في أن المنصات الرقمية لم تعد مجرد فضاءات مفتوحة لتبادل المعلومات، بل تحولت إلى بيئات خوارزمية قادرة على توجيه المحتوى وإعادة تشكيل الوعي الجمعي من خلال آليات التغذية الراجعة النشطة. وتزداد خطورة هذه الإشكالية في السياق العربي عامة، والليبي خاصة، في ظل ضعف السيادة الرقمية، ومحدودية الحوكمة التقنية، وتنامي الاعتماد على منصات عابرة للحدود لا تخضع بالضرورة للمرجعيات الثقافية والقيمية المحلية.

وانطلاقاً من ذلك، تسعى الدراسة إلى تحليل العلاقة بين التغذية الراجعة النشطة، وغرف الصدى، والأمن الثقافي، من خلال قراءة نقدية لا تكتفي بالنظر إلى غرف الصدى بوصفها ظاهرة سلبية مرتبطة بالانغلاق المعرفي، بل تحاول إعادة تأطيرها بوصفها، في بعض السياقات، آلية دفاعية قد تسهم في حماية التماسك القيمي والهوية الثقافية في ظل غياب سيادة رقمية فاعلة.

وعليه، يتمثل التساؤل الرئيس للدراسة في الآتي:

كيف تسهم التغذية الراجعة النشطة وغرف الصدى في إعادة تشكيل الأمن الثقافي في البيئة الرقمية العربية والليبية في ظل ضعف السيادة الرقمية؟

وينبثق عن هذا التساؤل الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية، وهي:

1. ما المقصود بالتغذية الراجعة النشطة، وكيف تعمل داخل المنصات الرقمية؟
2. كيف تسهم آليات التغذية الراجعة النشطة في تشكيل الإدراك الجمعي وإنتاج غرف الصدى؟
3. إلى أي مدى تمثل غرف الصدى تهديداً للتعددية المعرفية أو آلية دفاعية لحماية التماسك القيمي؟

4. ما أثر ضعف السيادة الرقمية في البيئة العربية والليبية على الأمن الثقافي؟
5. ما المقترحات التي يمكن أن تسهم في بناء حوكمة رقمية محلية توازن بين الانفتاح المعرفي وحماية الهوية الثقافية؟

أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من التحولات العميقة التي يشهدها الفضاء الرقمي، والتي لم تعد تقتصر على تغيير أنماط الاتصال، بل امتدت إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي ضمن بيئات خوارزمية معقدة. ومن ثم، تبرز أهمية دراسة العلاقة بين الخوارزميات، والتغذية الراجعة النشطة، وغرف الصدى، وتأثير هذه العلاقة في السيادة الرقمية والأمن الثقافي.

وتتمثل الأهمية العلمية للدراسة في تجاوز الطرح التقليدي الذي ينظر إلى غرف الصدى بوصفها ظاهرة سلبية فقط، والانتقال نحو تقديم قراءة نقدية تعيد تأطيرها بوصفها آلية قد تؤدي، في بعض السياقات، وظيفه دفاعية. ومن شأن هذا الطرح أن يسهم في سد فجوة بحثية تتصل بالعلاقة بين غرف الصدى والأمن الثقافي، ولا سيما في السياقات العربية التي تتسم بخصوصيات ثقافية ورقمية مركبة.

كما تكتسب الدراسة أهمية خاصة من تركيزها على البيئة الليبية والعربية، التي تواجه تحديات مرتبطة بضعف الحوكمة الرقمية، وانتشار المعلومات المضللة، وتزايد الاعتماد على المنصات الرقمية العابرة للحدود. ويجعل ذلك من هذه البيئة نموذجًا مهمًا لفهم أثر الخوارزميات في تشكيل الهوية والوعي الثقافي.

أما من الناحية التطبيقية، فتقدم الدراسة تصورًا لنموذج الحوكمة التحصينية بوصفه إطارًا مقترحًا لتحقيق التوازن بين الانفتاح المعرفي وحماية القيم الثقافية، بما قد يفيد صناع القرار والباحثين والمهتمين بقضايا الإعلام الرقمي والأمن الثقافي في التعامل مع التأثيرات الخوارزمية المتنامية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. ضبط مفهوم التغذية الراجعة النشطة وبيان آليات عملها داخل المنصات الرقمية.
2. تحليل دور التغذية الراجعة النشطة في تشكيل الإدراك الجمعي وإنتاج غرف الصدى.
3. دراسة العلاقة بين غرف الصدى والأمن الثقافي في السياقين العربي والليبي.
4. توضيح أثر ضعف السيادة الرقمية في زيادة قابلية المجتمعات العربية للتأثر بالهيمنة الخوارزمية.
5. تقديم مقترحات نظرية وتطبيقية تسهم في تعزيز الحوكمة الرقمية المحلية وحماية الهوية الثقافية.

مفاهيم البحث

✓ السيادة الرقمية

تشير السيادة الرقمية إلى قدرة الدولة أو المجتمع على التحكم في بياناته وبناءه الرقمية وتدفقات المعلومات والخوارزميات المؤثرة في مجاله المعرفي، بما يحفظ استقلاله الرقمي ويحدد من التبعية للمنصات العابرة للحدود.

✓ الأمن الثقافي

يقصد بالأمن الثقافي قدرة المجتمع على حماية هويته ومنظومته القيمية ورموزه المرجعية من التآكل أو التشويه الناتج عن التدفقات الإعلامية والثقافية غير المنضبطة، مع الحفاظ في الوقت ذاته على الانفتاح الواعي على المعارف والتقنيات.

✓ التغذية الراجعة النشطة

تشير التغذية الراجعة النشطة إلى الآلية الخوارزمية التي تقوم على الرصد المستمر لسلوك المستخدم داخل المنصات الرقمية، مثل عمليات التصفح، والإعجاب، والمشاركة، والبحث، ومدة التفاعل

مع المحتوى، ثم تحليل هذه البيانات وإعادة توظيفها في تقديم محتوى مشابه أو متوافق مع اهتماماته السابقة.

ولا تقتصر هذه الآلية على تخصيص المحتوى فحسب، بل تسهم أيضاً في إعادة تشكيل المجال المعرفي للمستخدم من خلال تعزيز القنوات القائمة، وتقليل فرص التعرض للمضامين المخالفة، وإنتاج دائرة إدراكية مغلقة يتكرر داخلها المعنى ذاته بصورة مستمرة. ومن ثم، تكمن خطورة التغذية الراجعة النشطة في تحولها من أداة تقنية لتحسين تجربة الاستخدام إلى آلية دلالية قادرة على توجيه الإدراك وإعادة إنتاج القيم والتصورات داخل البيئة الرقمية.

✓ الرأسمالية المراقبة

الرأسمالية المراقبة هي نموذج اقتصادي تقني يقوم على جمع البيانات السلوكية للأفراد وتحليلها وتحويلها إلى مورد استراتيجي للتنبؤ بالسلوك وتوجيهه، بما يجعل البيانات أداة للنفوذ والهيمنة المعرفية.

✓ الحوكمة التحصينية

الحوكمة التحصينية هي النموذج الذي تقترحه الدراسة لتحقيق التوازن بين الانفتاح المعرفي وحماية الأمن الثقافي، من خلال تعزيز الشفافية الخوارزمية، وترسيخ التربية الإعلامية الرقمية، وتطوير بنى رقمية أكثر اتساقاً مع الخصوصيات الثقافية للمجتمع.

الإطار النظري والدراسات السابقة

التحول من الإعلام التقليدي إلى الأنظمة الخوارزمية الذكية

شهدت البيئة الإعلامية خلال العقود الأخيرة تحولاً بنوياً عميقاً، تمثل في الانتقال من نموذج الاتصال الخطي القائم على الإرسال والاستقبال إلى نموذج تفاعلي معقد تتحكم فيه الخوارزميات، وتعيد من خلاله تشكيل العلاقة بين المستخدم والمعلومة على المستويين الدلالي والمعرفي. فلم تعد

المنصات الرقمية مجرد أدوات لنقل المحتوى، بل أصبحت أنظمة معرفية ودلالية قادرة على تنظيم تدفقات المعلومات وإعادة إنتاجها وفق معايير غير مرئية، تتداخل فيها الأبعاد التقنية مع الاعتبارات الاقتصادية والسياسية.

وقد بيّنت مراجعة منهجية شاملة للأدبيات أن أنظمة التوصية الخوارزمية تعتمد، بصورة أساسية، على تحليل البيانات السلوكية للمستخدمين بهدف تخصيص المحتوى، وهو ما يعزز قابلية المستخدم للتفاعل داخل بيئات متجانسة معرفيًا (Terren & Borge, 2021). غير أن هذا التفسير، رغم أهميته، يظل محدودًا إذا اقتصر على الجانب الوظيفي، إذ يتجاهل البعد الدلالي الذي تتحول فيه هذه الأنظمة إلى آليات لإنتاج المعنى وإعادة تأطير الواقع، وليس مجرد أدوات لتنظيمه.

فمن خلال التحكم فيما يُعرض وما يُحجب، تصبح الخوارزميات فاعلاً مركزياً في تشكيل الإدراك؛ إذ لا تكتفي بترتيب المعلومات، بل تعيد بناء تمثيلات الواقع لدى المستخدم ضمن أطر دلالية محددة. وبهذا المعنى، تنتقل السلطة من المؤسسات الإعلامية التقليدية إلى أنظمة رقمية تنتج المعنى وفق منطق خوارزمي، وهو ما يطرح إشكالية جوهرية تتعلق بطبيعة هذه السلطة: هل هي سلطة تقنية محايدة، أم أنها تعكس منظومات قيمية مضمرة تعيد تشكيل الوعي وفق مرجعيات محددة؟

التغذية الراجعة النشطة وإعادة تشكيل الإدراك الجمعي

في قلب هذه الأنظمة، تبرز آلية التغذية الراجعة النشطة بوصفها أحد أهم المحددات الخوارزمية التي تعيد إنتاج العلاقة بين المستخدم والمحتوى على مستوى دلالي. وتقوم هذه الآلية على تحليل السلوك الرقمي للمستخدم، ثم إعادة توجيه المحتوى بما يعزز أنماط اهتماماته السابقة، الأمر الذي يؤدي إلى تكوين حلقة مغلقة من التفاعل المعرفي.

ولا تقتصر هذه العملية على تعزيز التفاعل، بل تسهم في إعادة إنتاج المعاني والقناعات داخل بنية معرفية مغلقة، حيث يجري تأكيد الدلالات السائدة وطميش البدائل. وقد أظهرت الدراسات التجريبية أن المستخدمين يميلون إلى التفاعل مع محتوى يتوافق مع قناعاتهم، وأن الخوارزميات تعزز

هذا الاتجاه من خلال تقليل التعرض للمحتوى المخالف، مما يؤدي إلى تضيق المجال المعرفي وتعزيز الاستقطاب (Cinelli et al., 2021). كما أظهرت دراسات أخرى أن أنظمة التوصية الاجتماعية، مثل اقتراح الأصدقاء، تسهم في إعادة تشكيل الشبكات الاجتماعية بطريقة تزيد من التجانس الفكري، وهو ما يعزز تشكّل بيئات معرفية مغلقة. (Cinus et al., 2022)

غير أن قراءة هذه النتائج في إطارها النظري تكشف عن افتراض ضمني يتمثل في اعتبار التعددية المطلقة الحالة المثلى، وأن أي انحراف عنها يمثل خللاً ينبغي معالجته. إلا أن هذا الطرح يغفل أن المجتمعات لا تتعامل مع المعرفة بوصفها مجرد تدفق معلوماتي، بل بوصفها نظاماً دلاليًا مرتبطاً بالبنية القيمية. ومن ثم، فإن فهم هذه الآليات يستدعي مقارنة تأخذ بعين الاعتبار اختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية.

غرف الصدى: البنية الخوارزمية بين الانغلاق وإعادة إنتاج المعنى

تُعد غرف الصدى من أبرز تجليات التفاعل بين سلوك المستخدم والخوارزميات، إذ تشكل نتيجة التقاء الرغبة البشرية في تأكيد القنوات مع القدرة الخوارزمية على تعزيز هذا الاتجاه. غير أن هذه الظاهرة لا تمثل مجرد انغلاق معرفي، بل يمكن فهمها بوصفها فضاءات دلالية يُعاد داخلها إنتاج المعنى بما يتوافق مع المرجعيات الثقافية للمستخدمين.

وقد سعت الدراسات الحديثة إلى قياس هذه الظاهرة بطرق مختلفة، حيث أظهرت مراجعة منهجية أن وجود غرف الصدى يرتبط بدرجة كبيرة بنوعية البيانات المستخدمة؛ إذ تظهر بصورة أوضح في الدراسات التي تعتمد على البيانات الرقمية مقارنة بالدراسات القائمة على التقارير الذاتية (Terren & Borge, 2021). كما أظهرت الدراسات الكمية واسعة النطاق أن المستخدمين يميلون إلى التفاعل داخل مجموعات متجانسة فكريًا، وأن هذا التفاعل يؤدي إلى تعزيز القنوات وتكريس الاستقطاب. (Cinelli et al., 2021)

وتذهب دراسات أحدث إلى أن هذه الظاهرة لم تعد محصورة داخل المنصات فحسب، بل تطورت إلى ما يمكن تسميته بالمنصات الصدى، حيث تنتقل ديناميكيات إنتاج المعنى إلى مستوى المنصة بأكملها، مما يعمق حالة التجزئة المعرفية (Di Martino *et al.*, 2025). ورغم أن هذه الأدبيات تقدم تفسيراً متماسكاً للظاهرة من منظور تقني، فإنها تميل إلى اختزال غرف الصدى في بعدها السلبي، متجاهلة إمكانية أن تكون هذه الغرف استجابة دلالية واجتماعية للحفاظ على التماسك القيمي في بيئة معرفية متغيرة.

الرأسمالية المراقبة والهيمنة على المعنى

لفهم الأبعاد الأعمق لهذه الظواهر، تقدم الأدبيات النقدية إطاراً تحليلياً يربط بين التكنولوجيا والسلطة، حيث تشير إلى أن المنصات الرقمية تعمل ضمن نموذج اقتصادي يقوم على استخراج البيانات وتحويلها إلى أدوات للسيطرة.

وفي هذا السياق، لا يجري توجيه السلوك فحسب، بل يُعاد تشكيل المعنى ذاته؛ إذ تتحول التجربة الإنسانية إلى بيانات قابلة للتحليل والتوظيف، ويتم إدماجها ضمن أنظمة تنتج دلالات موجهة تخدم منطق الربح والتأثير (Zuboff, 2019). وقد توسعت هذه الرؤية لتشير إلى أن هذا النموذج أصبح جزءاً من بنية جيوسياسية تتحكم في تدفقات البيانات والمعنى على المستوى العالمي (Kilic, 2025)، كما جرى ربطه بما يُعرف بالاستعمار الرقمي (Couldry & Meijas, 2019).

البيئة الرقمية العربية

تتسم البيئة الرقمية العربية بخصائص تجعلها أكثر عرضة للتأثيرات الخوارزمية، حيث يشكل التنوع اللغوي والثقافي عاملاً معقداً في إنتاج المعنى. وقد أظهرت الدراسات أن المعلومات المضللة تمثل تحدياً كبيراً في المنطقة (Abouzied *et al.*, 2025; Mourtada & Salem, 2012). كما كشفت دراسات تحليل المحتوى أن السرديات الرقمية، بما في ذلك نظريات المؤامرة،

لا تمثل مجرد محتوى عابر، بل أنماطاً دلالية يُعاد إنتاجها داخل الفضاء الرقمي، حيث يتم توظيفها لتفسير الواقع ضمن أطر معرفية معينة. (Mohdeb *et al.*, 2024)

الإعلام الرقمي وتشكيل الوعي في السياق المحلي والعربي

تشير الأدبيات إلى أن الإعلام الرقمي يؤدي دوراً متزايداً في تشكيل الرأي العام، حيث أصبح فضاءً لإعادة إنتاج المعنى الاجتماعي والسياسي. وقد أظهرت دراسة (Rizk, 2025) أن السرديات الرقمية تسهم في التأثير في الإدراك الدولي.

كما تشير الدراسات الليبية إلى أن النقاشات الرقمية تسهم في إعادة تشكيل التصورات الجماعية (أسبيته والسعيطي، 2025)، في ظل بيئة إعلامية تتسم بالهشاشة وضعف التنظيم، مما يعزز قابلية التأثير بالتدفقات الرقمية. (Altai Consulting, 2013)

خصوصية البيئة العربية والليبية

تكتسب إشكالية التغذية الراجعة النشطة وغرف الصدى أهمية خاصة في البيئة العربية والليبية، نظراً لوجود مجموعة من العوامل التي تزيد من أثر الخوارزميات في تشكيل الوعي العام. ومن أبرز هذه العوامل ضعف البنية التشريعية المنظمة للفضاء الرقمي، ومحدودية الشفافية في إدارة البيانات، وتزايد الاعتماد على المنصات العالمية في الحصول على الأخبار والمعلومات، فضلاً عن انتشار المحتوى غير الموثوق والمعلومات المضللة. (Abouzied *et al.*, 2025; Omar *et al.*, 2025).

وفي الحالة الليبية، تزداد هذه الإشكالية بفعل هشاشة البيئة الإعلامية، وتعدد مصادر الخطاب الرقمي، وضعف المؤسسات القادرة على إنتاج محتوى رقمي محلي موثوق (Altai Consulting, 2013). كما أن السرديات الرقمية، بما فيها نظريات المؤامرة والخطابات المتداولة داخل الفضاء العربي، تسهم في إعادة تفسير الواقع ضمن أطر معرفية مغلقة، وهو ما

يجعل غرف الصدى أكثر ارتباطاً بتشكيل الإدراك الجمعي (Mohdeb et al., 2024). لذلك، فإن دراسة التغذية الراجعة النشطة في هذا السياق لا ترتبط بمشكلة تقنية فحسب، بل تتصل مباشرة بحماية الوعي الجمعي، وصون الهوية الثقافية، وتعزيز قدرة المجتمع على التعامل النقدي مع التدفقات الرقمية العابرة للحدود.

الفجوة البحثية

يتضح من استقراء الأدبيات أن معظم الدراسات تتناول غرف الصدى بوصفها خللاً تقنياً أو تهديداً اجتماعياً، دون التعمق في بعدها الدلالي أو وظيفتها المحتملة في بعض السياقات الثقافية. وتكمن الفجوة البحثية في غياب مقارنة تحليلية تربط بين غرف الصدى، والسيادة الرقمية، والأمن الثقافي ضمن إطار دلالي متكامل، ولا سيما في السياقين المحلي والعربي. ومن هنا، تنطلق هذه الدراسة لتقديم قراءة مغايرة ترى أن غرف الصدى قد تمثل، في ظل غياب السيادة الرقمية، آلية دلالية دفاعية تسهم في الحفاظ على التماسك القيمي وإعادة إنتاج المعنى في مواجهة الهيمنة الخوارزمية.

منهجية الدراسة

تتبع منهجية هذه الدراسة من طبيعتها النظرية النقدية، التي تسعى إلى تجاوز التفسير التقني للظواهر الرقمية نحو تحليل أبعادها الدلالية والثقافية. وانطلاقاً من ذلك، تعتمد الدراسة المنهج السيميائي التحليلي بوصفه إطاراً رئيساً لتفكيك البنية الرمزية للخوارزميات، والكشف عن المرجعيات القيمة التي تتضمنها، إلى جانب توظيف مقارنة تحليلية نقدية لفهم علاقتها بالسيادة الرقمية والأمن الثقافي.

أولاً. مجتمع وبيئة الدراسة

تمثل بيئة الدراسة في الفضاء الرقمي العربي بوجه عام، مع تركيز خاص على البيئة الليبية باعتبارها نموذجاً محلياً يعكس عددًا من الإشكاليات المرتبطة بضعف السيادة الرقمية، ومحدودية الحوكمة

التقنية، وتزايد الاعتماد على منصات التواصل الاجتماعي بوصفها مصدراً رئيسياً للمعلومات وتشكيل الرأي العام.

ولا تتعامل الدراسة مع مجتمع ميداني محدد من الأفراد أو المؤسسات، لأنها دراسة نظرية تحليلية نقدية، وإنما تتخذ من البيئة الرقمية العربية والليبية مجالاً للتحليل، من خلال مناقشة آليات عمل الخوارزميات، والتغذية الراجعة النشطة، وغرف الصدى، وانعكاساتها على الأمن الثقافي والهوية القيمة.

ثانياً. المنهج السيميائي التحليلي

يرتكز هذا المنهج على تحليل الأنظمة الرقمية بوصفها أنظمة دلالية تنتج المعنى ولا تقتصر على تنظيمه، حيث يتم التعامل مع الخوارزميات باعتبارها أدوات لإعادة تأطير الواقع وبناء تمثيلات معرفية موجهة.

ويتم توظيف هذا المنهج من خلال:

1. تحليل كيفية بناء المعنى داخل الخوارزميات عبر آليات التصفية والترتيب والتوصية.
2. تفكيك الدلالات الضمنية التي تعكس مرجعيات قيمية وثقافية مضمرة في تصميم الأنظمة.

3. دراسة العلاقة بين المحتوى المعروض والمتلقي بوصفها علاقة إنتاج دلالي تفاعلي.

ثالثاً. التحليل الاستقرائي للنماذج الرقمية

إلى جانب التحليل السيميائي، تعتمد الدراسة المنهج الاستقرائي من خلال تحليل مجموعة من الدراسات المعاصرة التي تناولت غرف الصدى، وأنظمة التوصية الخوارزمية، والتضليل الرقمي، والرأسمالية المراقبة.

ويهدف هذا التحليل إلى استخلاص الأنماط العامة التي تحكم العلاقة بين الخوارزميات وتشكل الوعي، مع ربطها بالسياق العربي.

رابعاً. الأسلوب الوصفي الاستشرافي

توظف الدراسة كذلك الأسلوب الوصفي الاستشرافي لتحليل واقع البيئة الرقمية العربية، واستشراف مآلاتها في ظل هيمنة المنصات الرقمية، مع التركيز على ضعف السيادة الرقمية، وتساعد التأثير الخوارزمي، وإعادة تشكيل الخطاب الثقافي.

نتائج الدراسة ومناقشتها

التغذية الراجعة النشطة وتقويض السيادة الرقمية

البنية الخوارزمية للتغذية الراجعة النشطة

تُعد التغذية الراجعة النشطة من الركائز المركزية التي تقوم عليها المنصات الرقمية المعاصرة، إذ تعتمد على تحليل السلوك الرقمي للمستخدمين بصورة مستمرة، ثم إعادة إنتاج المحتوى وفق الأنماط السلوكية نفسها، بما يفضي إلى تشكيل بيئة معرفية ذاتية التعزيز. غير أن أهمية هذه الآلية لا تكمن في بعدها التقني فقط، بل في قدرتها على إعادة بناء العلاقة بين المستخدم والمحتوى على نحو يجعل الخوارزمية شريكاً في إنتاج المعنى، لا مجرد وسيط في نقله.

وقد أظهرت الدراسات أن هذا النمط من التفاعل يؤدي إلى تعزيز التجانس داخل الشبكات الرقمية، حيث يميل الأفراد إلى التفاعل مع محتوى ينسجم مع معتقداتهم، في حين تعمل الخوارزميات على تضخيم هذا الميل من خلال تقليص فرص التعرض للمحتوى المخالف (Cinelli et al., 2021). كما تسهم أنظمة التوصية، ولا سيما تلك المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية، في إعادة تشكيل الشبكات الرقمية بطريقة تزيد من التقارب الفكري، وهو ما يعزز تكوين بيانات معرفية مغلقة. (Cinus et al., 2022)

ومن ثم، لا يمكن فهم التغذية الراجعة النشطة بوصفها مجرد تقنية للتخصيص، بل بوصفها بنية خوارزمية دلالية تسهم في إعادة توجيه الإدراك الجماعي، عبر ترسيخ معانٍ بعينها، وتهميش معانٍ

أخرى، وإنتاج واقع رمزي يبدو للمستخدم وكأنه طبيعي أو تلقائي، في حين أنه نتاج آليات انتقائية دقيقة.

تخصيص المحتوى وإعادة تأطير الإدراك

يُقدّم تخصيص المحتوى في الخطاب التقني السائد بوصفه أداة لتحسين تجربة المستخدم، غير أن التحليل الأعمق يكشف أن هذا التخصيص يتجاوز البعد الوظيفي ليصبح آلية لإعادة تأطير الإدراك ذاته. فحين يُختزل المجال المعرفي للمستخدم في مجموعة محدودة من المضامين المتشابهة، فإن ما يحدث ليس مجرد تنظيم للمعلومة، بل إعادة تحديد لما يمكن رؤيته وتفسيره واعتباره ذا معنى. وقد أكدت المراجعات المنهجية أن التعرض الانتقائي للمحتوى لا ينتج فقط عن اختيارات المستخدم، بل عن تفاعل مركب بين السلوك الفردي وآليات التصفية الخوارزمية، بما يؤدي إلى تعزيز الانحياز الإدراكي وإعادة إنتاجه (Terren & Borge, 2021). كما أن هذا التفاعل لا يظل محصوراً في المستوى الفردي، بل يمتد إلى مستوى جماعي، حيث تشكل مجتمعات رقمية تشارك أطراً تفسيرية متقاربة وتعيد تداولها بصورة كثيفة.

وعليه، فإن الخوارزميات لا تقوم فقط بترتيب المعلومات، بل تعيد بناء الواقع الإدراكي من خلال التحكم في شروط ظهوره للمستخدم، بحيث يصبح ما يُعرض هو الإطار التفسيري الغالب، بينما تُقصى البدائل المعرفية أو تُدفع إلى الهامش.

التغذية الراجعة النشطة كآلية لإعادة إنتاج القنوات

تكشف نتائج التحليل أن التغذية الراجعة النشطة تؤدي إلى بناء ما يمكن تسميته بالدائرة الإدراكية المغلقة، حيث يتم تعزيز القنوات القائمة من خلال التعرض المستمر لمحتوى منسجم معها. ومع مرور الوقت، لا تعود هذه القنوات مجرد مواقف قابلة للمراجعة، بل تتحول إلى بنيات تفسيرية راسخة يُعاد إنتاجها داخل المجال الرقمي بصورة متكررة.

وقد بينت الدراسات أن هذا النمط من التفاعل يسهم في تكوين مجموعات متجانسة فكريًا، بحيث يجري تعزيز الروابط داخلها على حساب التفاعل مع المختلف (Cinelli *et al.*, 2021). كما تتعزز هذه العملية عبر أنظمة التوصية التي تعيد تشكيل الشبكات الاجتماعية بما يخدم هذا التجانس (Cinus *et al.*, 2022). غير أن خطورة هذه العملية لا تكمن فقط في بعدها المعرفي، بل في امتدادها إلى المجال القيمي، حيث تُعاد صياغة المعاني المرتبطة بالهوية والانتماء والشرعية داخل بيئات رقمية تتسم بالتكرار والتعزيز.

ومن هذا المنظور، تغدو التغذية الراجعة النشطة آلية لإعادة إنتاج القنوات والدلالات معًا، بحيث لا يتم فقط تكريس ما يعتقد المستخدم، بل أيضًا ترسيخ الكيفية التي يفسر بها العالم.

من التحكم في البيانات إلى التحكم في إنتاج الوعي

في ضوء هذه الديناميكيات، تتخذ إشكالية السيادة الرقمية بعدًا أكثر عمقًا، إذ لا يعود الأمر متعلقًا فقط بالسيطرة على البنية التحتية أو البيانات، بل بالتحكم في العمليات التي تنتج الوعي ذاته. فحين تتحكم المنصات الرقمية في تدفقات المعلومات، فإنها لا تدير الاتصال فحسب، بل تسهم في تشكيل البنية الرمزية التي يدرك الأفراد من خلالها واقعهم.

وقد أشار تحليل مفهوم السيادة الرقمية إلى أن السيطرة لم تعد مقتصرة على المجال التقني، بل تشمل التحكم في البيانات والخوارزميات باعتبارها موارد استراتيجية (سعداوي، 2022). وفي هذا السياق، تصبح المجتمعات التي لا تمتلك قدرة تنظيمية أو سيادية على هذه البنى أكثر عرضة لإعادة تشكيل وعيها عبر منصات لا تخضع لمرجعياتها الثقافية أو السياسية.

كما يعزز نموذج الرأسمالية المراقبة هذا الاتجاه، إذ تتحول البيانات إلى أداة لاستخلاص السلوك وتوجيهه في آن واحد (Zuboff, 2019). وقد اتسع هذا المنظور ليشمل البعد الجيوسياسي، بحيث أصبحت البيانات والخوارزميات جزءًا من إعادة تشكيل موازين القوة على المستوى العالمي (Kilic, 2025). ومن ثم، فإن التغذية الراجعة النشطة تمثل إحدى الأدوات التنفيذية لهذا

النموذج، لأنها تتيح التأثير في الأفراد من خلال إعادة صياغة إدراكهم للعالم بطريقة تبدو غير مباشرة، لكنها فعالة وعميقة الأثر.

الهشاشة الرقمية وتكثيف الأثر الخوارزمي في السياق المحلي والعربي

يتضاعف أثر التغذية الراجعة النشطة في السياق العربي بسبب عدد من العوامل البنيوية، من أبرزها ضعف السيادة الرقمية، وتعدد اللغات واللهجات، وغياب آليات فعالة لمكافحة التضليل. وقد أظهرت الدراسات أن البيئة الرقمية العربية أكثر عرضة للتلاعب المعلوماتي، إذ تسهم هذه العوامل في تعقيد عمليات التحقق وفي اتساع قابلية تداول الخطابات المضللة (Abouzied *et al.*, 2025).

كما أن انتشار السرديات الرقمية، بما فيها نظريات المؤامرة، لا يعكس مجرد وفرة في المحتوى، بل يدل على وجود أنماط دلالية يُعاد صياغتها وتداولها ضمن أطر معرفية مغلقة، بما يؤثر في الكيفية التي يُفهم بها الواقع السياسي والاجتماعي (Mohdeb *et al.*, 2024). وتدعم هذه المعطيات نتائج أخرى تشير إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت مصدرًا رئيسيًا للمعلومات في المنطقة، بالتوازي مع تنامي المخاوف من أثرها في القيم الثقافية والهوية (Omar *et al.*, 2025). كما أن ضعف البنية الإعلامية المؤسسية في بعض البيئات، كما في الحالة الليبية، يزيد من قابلية المجال العام للتأثر بهذه الديناميكيات (Altai Consulting, 2013).

وعليه، فإن التغذية الراجعة النشطة في السياق العربي لا تعمل فقط على تضيق المجال المعرفي، بل تسهم في إعادة تكوين المجال الرمزي ذاته ضمن شروط تتداخل فيها الهشاشة المؤسسية مع الهيمنة الخوارزمية.

التغذية الراجعة النشطة كآلية للهيمنة الناعمة

في ضوء ما سبق، يمكن إعادة تفسير التغذية الراجعة النشطة بوصفها إحدى صور الهيمنة الناعمة، التي لا تقوم على الإكراه المباشر، بل على إعادة تشكيل الإدراك والتمثلات بصورة تجعل المستخدم يتبنى أنماطاً بعينها من الفهم والتفسير دون وعي كامل بآليات إنتاجها. ويكشف هذا التحول عن انتقال السلطة من السيطرة المباشرة إلى التأثير غير المباشر، حيث تصبح الخوارزميات وسيطاً خفياً يعيد إنتاج الواقع الرمزي وفق منطق محدد.

ومن ثم، فإن تفويض السيادة الرقمية لا يتم فقط عبر السيطرة على الأنظمة أو البنية التحتية، بل عبر الهيمنة على إنتاج المعنى، بما يجعل المجتمعات عرضة لتأثيرات خارجية تتغلغل في وعيها الجمعي من خلال آليات تبدو تقنية في ظاهرها، لكنها دلالية وسياسية في عمقها.

غرف الصدى كآلية دفاعية للأمن الثقافي

التشكل الخوارزمي لغرف الصدى في البيئة الرقمية

تكشف نتائج التحليل أن غرف الصدى تمثل إحدى النتائج البنوية للتفاعل بين السلوك البشري والخوارزميات؛ إذ تنشأ من تداخل عاملين أساسيين: الميل البشري إلى تأكيد القناعات، والقدرة الخوارزمية على تعزيز هذا الميل عبر آليات التوصية والانتقاء. ومن ثم، فهي لا تتشكل بوصفها ظاهرة عفوية خالصة، بل بوصفها نتيجة مباشرة لبنية رقمية مصممة لإعادة إنتاج أنماط التفاعل السابقة.

وقد أظهرت الدراسات أن المستخدمين يميلون إلى التفاعل داخل مجموعات متجانسة فكرياً، وأن الخوارزميات تعمل على تعزيز هذا التجانس من خلال تقديم محتوى ينسجم مع التفضيلات السابقة (Cinelli et al., 2021). كما تسهم أنظمة التوصية الاجتماعية في إعادة تشكيل الشبكات الرقمية على نحو يعزز التقارب بين الأفراد المتشابهين، بما يفضي إلى تكوين بيئات معرفية مغلقة (Cinus et al., 2022). وتؤكد المراجعات المنهجية أن وجود غرف الصدى

يرتبط بطبيعة البيانات المستخدمة في القياس، ويظهر بوضوح أكبر في الدراسات القائمة على البيانات الرقمية. (Terren & Borge, 2021)

إلا أن هذا التفسير، على أهميته، يظل غير كافٍ إذا اقتصر على البعد التقني؛ لأنه يتجاهل أن غرف الصدى ليست مجرد بني تفاعلية مغلقة، بل هي فضاءات دلالية يُعاد فيها إنتاج المعنى بما ينسجم مع المرجعيات الثقافية والرمزية للمستخدمين.

الانغلاق المعرفي وإعادة إنتاج المعنى

تذهب غالبية الأدبيات الغربية إلى النظر إلى غرف الصدى بوصفها ظاهرة سلبية تقوض التعددية وتعزز الاستقطاب. غير أن هذا التصور يقوم على افتراض معياري يعتبر أن التعرض المستمر للاختلاف هو الصيغة المثلى للصحة المعرفية، وهو افتراض لا يمكن تعميمه دون مراعاة السياقات الثقافية المختلفة.

ففي السياق العربي، حيث تؤدي القيم الثقافية والدينية دورًا مركزيًا في بناء الهوية، قد لا يكون الانفتاح غير المنضبط مجرد توسع معرفي، بل قد يتحول إلى مصدر اضطراب دلالي يهدد تماسك المعنى. وقد أظهرت الدراسات أن البيئة الرقمية العربية تشهد انتشارًا واسعًا للمعلومات المضللة نتيجة عوامل متعددة، تشمل التعقيد اللغوي وضعف آليات التحقق (Abouzied *et al.*, 2025). كما أن السرديات الرقمية، بما في ذلك نظريات المؤامرة، أصبحت جزءًا من الخطاب العام الذي يعيد تفسير الواقع ضمن أطر معرفية خاصة. (Mohdeb *et al.*, 2024)

ومن هنا، لا يمكن النظر إلى غرف الصدى بوصفها مجرد فضاءات انغلاق، بل بوصفها آليات لإعادة إنتاج المعنى داخل بيئات معرفية تتسم بالسيولة وعدم الاستقرار، حيث يبحث الأفراد عن اتساق رمزي يتيح لهم فهم العالم ضمن منظومات تفسيرية أكثر ثباتًا.

غرف الصدى كاستجابة اجتماعية لغياب السيادة الرقمية

تكشف النتائج أن غياب السيادة الرقمية لا ينتج فقط ضعفًا في التحكم في البيانات والمنصات، بل يفضي أيضًا إلى اختلال في شروط إنتاج المعنى داخل المجال العام. وفي ظل هذا الاختلال، يمكن تفسير غرف الصدى بوصفها استجابة اجتماعية لتقليل هذا الاضطراب، من خلال بناء فضاءات تواصلية أكثر اتساقًا مع المرجعيات القيمة للمجتمع.

فحين لا تمتلك الدولة أو الجماعة القدرة على التحكم في الخوارزميات أو تنظيم تدفقات المعلومات، يلجأ الأفراد إلى إنشاء فضاءات تفاعلية خاصة أو الانخراط فيها، حيث يُعاد إنتاج القيم والمعايير التي تمنحهم إحساسًا بالاستقرار الرمزي. ومن هذا المنطلق، يمكن النظر إلى غرف الصدى بوصفها شكلًا من أشكال التكيف الرقمي الذي يهدف إلى حماية التماسك الثقافي في مواجهة التأثيرات الخارجية.

وتدعم هذه القراءة نتائج دراسات تشير إلى ارتفاع اعتماد المستخدمين العرب على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات، بالتوازي مع تنامي المخاوف من أثرها في القيم الثقافية (Omar *et al.*, 2025). كما أن ضعف البنية الإعلامية المؤسسية في بعض البيئات يعزز الحاجة إلى آليات دفاعية غير رسمية لإعادة ضبط المعنى داخل المجال الرقمي (Altai Consulting, 2013).

الوظيفة الدفاعية لغرف الصدى: نحو مفهوم المناعة الرقمية

استنادًا إلى ما سبق، يمكن إعادة تأطير غرف الصدى بوصفها نظام مناعة رقميًا، لا بمعنى أنها خالية من المخاطر، بل بمعنى أنها قد تؤدي وظيفة دفاعية في مواجهة التدفقات المعرفية غير المنضبطة. فهي تقلل من التعرض للمحتوى الذي قد يُحدث صدمة دلالية أو يهدد التماسك القيمي، وتوفر في الوقت نفسه بيئة تواصلية أكثر اتساقًا مع المرجعيات الرمزية للمجتمع.

ولا يعني ذلك أن غرف الصدى تمثل حلًا مثاليًا؛ إذ يمكن أن تسهم أيضًا في تعزيز الانغلاق وإعادة إنتاج المعلومات المضللة. غير أن اختزالها في هذا الجانب وحده يحجب وظيفتها الأخرى

المتتمثلة في إعادة بناء المعنى داخل سياقات ثقافية مضغوطة. وقد أظهرت الدراسات أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت بيئة خصبة لانتشار الأخبار الزائفة بسبب طبيعة التفاعل السريع وضعف آليات التحقق (El Gody, 2023)، غير أن هذا الانتشار لا يحدث في فراغ، بل داخل بيئات دلالية يُعاد فيها تنظيم الخطاب وتداوله.

ومن ثم، فإن قيمة مفهوم المناعة الرقمية لا تكمن في تمجيد غرف الصدى، بل في إتاحة فهم أكثر توازناً لوظيفتها المزدوجة بين الحماية والخطر.

إعادة تأطير الظاهرة بين التهديد والحماية

تُظهر نتائج التحليل أن غرف الصدى تمثل ظاهرة مزدوجة البنية، إذ تجمع بين إمكانات التهديد وإمكانات الحماية في آن واحد. فهي، من جهة، قد تعزز الاستقطاب وتقلل من التعددية المعرفية، لكنها، من جهة أخرى، قد تؤدي وظيفة دفاعية في حماية التماسك القيمي والحد من التشطي الرمزي.

ويقتضي هذا الفهم تجاوز المقاربات الأحادية التي تنظر إلى الظاهرة من زاوية سلبية مطلقة، واستبدالها بمقاربة تأويلية أكثر توازناً تأخذ في الحسبان السياق الثقافي والسياسي الذي تتشكل داخله هذه البيئات. وبدلاً من السعي إلى تفكيك غرف الصدى بصورة كلية، قد يكون من الأجدى التفكير في كيفية توجيهها وضبطها بحيث تؤدي دوراً بناءً في دعم الأمن الثقافي.

غرف الصدى والسيادة الرقمية: نحو فهم تكاملي

لا يمكن فصل تحليل غرف الصدى عن إشكالية السيادة الرقمية؛ لأن ضعف القدرة على التحكم في الخوارزميات والمنصات يؤدي إلى تضخيم هذه الظاهرة على نحو غير متوازن. ومن هنا، تصبح الحاجة ملحة إلى تطوير نماذج حوكمة رقمية تستطيع إدارة العلاقة بين الانفتاح المعرفي وحماية الهوية الثقافية.

وعلى هذا الأساس، تمهد هذه النتائج للانتقال من التحليل إلى الاقتراح، عبر بناء نموذج الحوكمة التحصينية الذي يسعى إلى إعادة تنظيم العلاقة بين المستخدم والخوارزمية، بما يضمن تحقيق توازن بين حرية التدفق المعرفي وحماية البنية القيمة.

نحو نموذج الحوكمة التحصينية للأمن الثقافي

إشكالية الحوكمة في البيئة الرقمية المعاصرة

تُظهر نتائج الدراسة أن إشكالية الحوكمة في البيئة الرقمية لم تعد مرتبطة فقط بتنظيم المحتوى أو ضبط السلوك الإعلامي، بل أصبحت تتعلق بإدارة البنية الخوارزمية التي تتحكم في إنتاج المعرفة وتوزيعها. فالتدفقات المعرفية لا تُدار اليوم عبر قنوات إعلامية تقليدية فحسب، بل عبر أنظمة رقمية تتولى ترتيب المعنى وتوجيه الإدراك ضمن منطق متغير وعابر للحدود.

وقد بيّنت الأدبيات أن نموذج الحوكمة التقليدي، القائم على الرقابة المباشرة أو التشريع القانوني وحده، لم يعد كافياً لمواكبة الطبيعة الديناميكية للمنصات الرقمية (Kilic, 2025). كما أن الطابع العابر للحدود لهذه المنصات يجعل فرض السيادة الوطنية عليها أمراً بالغ التعقيد (سعداوي، 2022). وفي السياق العربي، تتفاقم هذه الإشكالية بسبب هشاشة البنية المؤسسية وغياب الاستراتيجيات الرقمية المتكاملة، مما يترك المجال مفتوحاً أمام تأثيرات خارجية تعيد تشكيل الوعي دون ضوابط فعالة.

من الحوكمة التنظيمية إلى الحوكمة التحصينية

انطلاقاً من محدودية المقاربات التقليدية، تقترح الدراسة مفهوم الحوكمة التحصينية بوصفه إطاراً بديلاً يتجاوز منطق الضبط الخارجي إلى بناء قدرة داخلية على مقاومة التأثيرات السلبية للبيئة الرقمية. ويقوم هذا النموذج على فرضية أن تحقيق الأمن الثقافي لا يتم فقط عبر تقليل المخاطر، بل عبر تعزيز المناعة المجتمعية في التعامل مع هذه المخاطر.

ومن هنا، تنتقل الحوكمة من كونها أداة رقابية إلى كونها آلية لإدارة المعنى داخل المجال الرقمي، بما يسمح ببناء علاقة أكثر توازناً بين المستخدم والخوارزمية. ويستند هذا التحول إلى حقيقة أن

المستخدمين لا يتلقون المعلومات بشكل سلمي، بل يعيدون إنتاجها ضمن سياقاتهم الثقافية الخاصة، وهو ما يظهر بوضوح في تشكل السرديات الرقمية في العالم العربي (Mohdeb *et al.*, 2024).

مركزات نموذج الحوكمة التحصينية

تقوم الحوكمة التحصينية، كما تكشفها نتائج الدراسة، على أربع مركزات مترابطة: أولاً، الشفافية الخوارزمية، لأنها تتيح فهم كيفية عمل الخوارزميات وتأثيرها في تشكيل المعنى، وتحد من قدرتها على توجيه الإدراك دون مساءلة. وقد بينت الدراسات أن غياب الشفافية يسهم في تضخيم أثر المعلومات المضللة، خاصة في البيئات ذات الوعي الرقمي المحدود (Abouzied *et al.*, 2025).

ثانياً، تعزيز التربية الإعلامية الرقمية، إذ تمثل أداة أساسية لتمكين الأفراد من فهم طبيعة المحتوى الرقمي وآليات إنتاجه، وتطوير قدرتهم على تحليل الخطاب الرقمي وفهم أبعاده القيمية. وقد أظهرت الدراسات أن ارتفاع الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي يترافق مع مخاوف متزايدة من أثرها في القيم الثقافية، بما يبرز أهمية الوعي الرقمي كوسيلة للحماية (Omar *et al.*, 2025).

ثالثاً، تطوير بنى خوارزمية محلية، لأن تحقيق السيادة الرقمية لا يمكن أن يتم دون امتلاك القدرة على تطوير أنظمة تعكس الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمع، بدلاً من الارتكان الكامل لمنصات خارجية.

رابعاً، إعادة توجيه غرف الصدى، بحيث لا يُنظر إليها باعتبارها تهديداً مطلقاً، بل بوصفها بنية قائمة يمكن توظيفها بصورة إيجابية من خلال تعزيز المحتوى القيمي داخلها، وتقليل انتشار المعلومات المضللة، وتوجيه النقاش نحو قضايا بناءة.

الحوكمة التحصينية كإطار لتحقيق التوازن

تخلص الدراسة إلى أن الحوكمة التحصينية تمثل إطارًا قادرًا على تحقيق توازن بين بعدين متعارضين ظاهريًا: الانفتاح المعرفي من جهة، والحماية القيمية من جهة أخرى. ولا يتحقق هذا التوازن عبر فرض قيود صارمة، بل عبر بناء منظومة متكاملة تجمع بين الوعي الفردي، والتنظيم المؤسسي، والتطوير التقني.

وبهذا المعنى، تصبح الحوكمة عملية ديناميكية تهدف إلى إدارة العلاقة بين المستخدم والخوارزمية، لا إلى إلغاء أحد الطرفين. وهي بذلك تقدم تصورًا أكثر ملاءمة للسياق العربي، حيث تفرض تحديات السيادة الرقمية والأمن الثقافي الحاجة إلى نموذج يوازن بين مقتضيات العصر وحماية الخصوصية الحضارية.

النتائج المستخلصة

في ضوء التحليل السابق، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. لم تعد الخوارزميات أدوات محايدة، بل أصبحت فاعلاً مركزيًا في تشكيل الوعي الجمعي.
2. تسهم التغذية الراجعة النشطة في بناء دوائر إدراكية مغلقة تعيد إنتاج القناعات والمعاني داخل بيئات رقمية ذاتية التعزيز.
3. تمثل غرف الصدى ظاهرة بنيوية ناتجة عن التفاعل بين السلوك البشري والخوارزميات.
4. في السياقين المحلي والعربي، يمكن أن تؤدي غرف الصدى وظيفة دفاعية تسهم في حماية التماسك القيمي من خلال إعادة إنتاج المعنى داخل فضاءات أكثر اتساقًا مع المرجعيات الثقافية.
5. يؤدي ضعف الحوكمة الرقمية والسيادة الرقمية إلى تضخيم أثر الخوارزميات وزيادة قابلية المجتمعات للتأثر بالتدفقات المعرفية الخارجية.
6. يتيح نموذج الحوكمة التحصينية إطارًا نظريًا وتطبيقيًا لتحقيق التوازن بين الانفتاح المعرفي وحماية الأمن الثقافي.

التوصيات

استناداً إلى النتائج، توصي الدراسة بما يأتي:

1. تطوير استراتيجيات وطنية للسيادة الرقمية تشمل التحكم في البيانات والخوارزميات وتدفقات المحتوى.
2. تعزيز برامج التربية الإعلامية الرقمية بما يمكن المستخدمين من فهم البعد الدلالي للخطاب الرقمي.
3. دعم البحث العلمي في مجال الخوارزميات وعلاقتها بإنتاج المعنى والهوية الثقافية.
4. العمل على تطوير منصات وبنى رقمية محلية تراعي الخصوصيات الثقافية للمجتمعات العربية.
5. إعادة توجيه غرف الصدى لتصبح فضاءات داعمة للتماسك الاجتماعي، بدل النظر إليها بوصفها تهديداً مطلقاً.

مقترحات تطبيقية للبيئة المحلية الليبية

في ضوء خصوصية البيئة المحلية الليبية، تقترح الدراسة ما يأتي:

1. إعداد برامج وطنية للتربية الإعلامية الرقمية داخل الجامعات والمدارس، تركز على فهم آليات الخوارزميات، والتحقق من الأخبار، وتحليل المحتوى الرقمي بصورة نقدية.
2. دعم إنشاء منصات رقمية محلية موثوقة تراعي الخصوصية الثقافية الليبية، وتوفر محتوى معرفياً وإعلامياً قادراً على منافسة المحتوى غير المنضبط القادم من المنصات العابرة للحدود.
3. تشجيع الجامعات ومراكز البحوث الليبية على إجراء دراسات تطبيقية حول أثر الخوارزميات وغرف الصدى في تشكيل الرأي العام المحلي.

4. تطوير سياسات واضحة لحماية البيانات الشخصية للمستخدمين، والحد من الاستغلال التجاري أو السياسي للمعلومات الرقمية.
5. تعزيز التعاون بين المؤسسات الإعلامية والتعليمية والتقنية في ليبيا لإنتاج خطاب رقمي وطني يدعم الهوية الثقافية دون الانغلاق عن المعرفة العالمية.
6. إنشاء وحدات أو مرصد رقمية محلية لرصد الأخبار المضللة والخطابات المتطرفة وتحليل اتجاهات الرأي العام في المنصات الرقمية.
7. إدراج مفاهيم السيادة الرقمية والأمن الثقافي ضمن البرامج الأكاديمية والإعلامية، بما يسهم في بناء وعي نقدي لدى الطلبة والباحثين وصناع القرار.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة أن التحدي الحقيقي في العصر الرقمي لا يكمن فقط في إدارة المعلومات، بل في إدارة المعنى ذاته. ففي ظل هيمنة الخوارزميات، لم يعد الوعي نتاجاً لتفاعل حر مع المعرفة، بل أصبح مشروطاً بأنظمة ذكية تعيد تشكيله وفق منطق دلالي موجّه. ومن هذا المنطلق، فإن تحقيق الأمن الثقافي لا يمكن أن يتم من خلال الرفض المطلق لهذه الأنظمة أو القبول غير المشروط بها، بل من خلال تطوير نماذج حوكمة قادرة على التفاعل معها بوعي نقدي، بما يضمن تحقيق التوازن بين الانفتاح المعرفي وحماية الهوية الثقافية. وتخلص الدراسة إلى أن غرف الصدى، رغم ما تحمله من مخاطر تتصل بالانغلاق المعرفي وتعزيز التجانس الفكري، قد تؤدي في بعض السياقات وظيفية دفاعية تسهم في حماية الهوية الثقافية، إذا ما أُعيد فهمها وتوظيفها ضمن إطار حوكمة تحصينية يعيد تنظيم العلاقة بين المستخدم والخوارزمية.

وبناءً على ما سبق، تؤكد الدراسة أن التعامل مع التغذية الراجعة النشطة وغرف الصدى في البيئة العربية والليبية ينبغي ألا يقتصر على البعد التقني، بل يجب أن يمتد إلى البعد الثقافي والقيمي. فضعف السيادة الرقمية لا يعني فقط فقدان السيطرة على البيانات أو المنصات، بل يعني أيضاً

تراجع القدرة على حماية المجال الرمزي الذي تشكل داخله الهوية والوعي الجمعي. ومن ثم، فإن بناء حوكمة رقمية محلية، وتعزيز التربية الإعلامية الرقمية، ودعم المنصات الوطنية تمثل مداخل أساسية لتحقيق التوازن بين الانفتاح على المعرفة العالمية وحماية الأمن الثقافي المحلي.

المراجع

- أسبتيه، خالد سعيد، والسعيطي، بتول عطية. (2025). هواجس الليبيين من تناول الخطاب الإعلامي الرقمي لموضوع المصالحة الوطنية عبر صفحات الفيس بوك. مجلة كلية الفنون والإعلام، 9(20)، 47-82 .
<https://doi.org/10.36602/famj.2025.20.2>
- سعداوي، عمر. (2025). السيادة الرقمية في ظل العولمة التكنولوجية والرهانات الجيوسياسية. المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، 10(2)، 765-776 .
 - Abouzied, A., Alam, F., Ali, R., & Papotti, P. (2025). Combating misinformation in the Arab world: Challenges & opportunities. arXiv. <https://doi.org/10.48550/arXiv.2506.05582>
 - Altai Consulting. (2013). Libya media assessment: One year later. Foreign & Commonwealth Office.
 - Mourtada, R., & Salem, F. (2012). Social media in the Arab world: Influencing societal and cultural change? Arab Social Media Report, 2(1). Dubai School of Government.
 - Cinelli, M., De Francisci Morales, G., Galeazzi, A., Quattrociochi, W., & Starnini, M. (2021). The echo chamber effect on social media. *Proceedings of the National Academy of Sciences*, 118(9).
 - Cinus, F., Minici, M., Monti, C., & Bonchi, F. (2022). The effect of people recommender systems on echo chambers and polarization. *Proceedings of the International AAAI Conference on Web and Social Media*.

- Couldry, N., & Mejias, U. A. (2019). *The costs of connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism*. Stanford University Press.
- Di Martino, E., Galeazzi, A., Starnini, M., Quattrociocchi, W., & Cinelli, M. (2025). Ideological fragmentation of the social media ecosystem: From echo chambers to echo platforms. *PNAS Nexus*, 4(9), pgaf262. <https://doi.org/10.1093/pnasnexus/pgaf262>
- El Gody, A. (2023). Decoding the echo chamber: The proliferation and impact of fake news in Arab media post-Arab Spring. *Arab Media & Society*, (35).
- Kilic, T. (2025). *Digital power and platform governance in the global economy*. Harvard Kennedy School.
- Mohdeb, D., Laifa, M., Guemraoui, Z., & Behih, D. (2024). Uncovering conspiratorial narratives within Arabic online content. arXiv.
- Omar, L., Beshara, W., & Chibani, N. (2025). Social media use, trust, and surveillance in the Arab region: Insights from the Arab Opinion Index (2024–2025). *Arab Center for Research and Policy Studies*.
- Rizk, M. (2025). *Social media and public opinion in times of conflict: How Arab social media impacted international perspectives on the Gaza war* (Master's thesis, American University in Cairo).
- Terren, L., & Borge, R. (2021). Echo chambers on social media: A systematic review of the literature. *Review of Communication Research*, 9, 99–118.
- Zuboff, S. (2019). *The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power*. PublicAffairs.